

## هل اللغة العربية غنية ؟

ام هي فقيرة قاصرة عن التعبير عن حاجات العصر ؟

بقلم حضرة النس عبد المسيح زمر

٥

### العربية بالنسبة الى هذه المطالعات الثموت

هيات ان تكون اللغة العربية فقيرة ، فهي بعيدة عن هذه الشائبة العائبة .  
ولكن هل هي غنية ، ام هي غزيرة المادّة ؟  
الجواب : العربية غنيّة من وجه ، وفقيرة من وجه آخر ، كما انها غزيرة المادّة  
من وجه ، وقليلتها من وجه آخر .

قلنا سابقاً ان اللغة الفصحى هي التي فيها لكل معنى لفظ ، او هي التي  
معانها لا تريد على الفاظها ، والفاظها تقوم بالدلالة على . ما فيها ، بلا زيادة ولا  
نقصان تقريباً . لا ريب ان اللغة العربية كانت على هذا الوصف ، في ماضي  
الزمان ، يوم كان اهلها في حالة البداوة ، قليلي المعاني والحاجات ، اذ كانت  
بيوتهم الشعر والاديم ، ومفرشهم الباري والبلاس ، واباسهم الكساء والرداء ،  
وانائمهم الرحي والقربة والقدر ، وآنيتهم القعب والديمة والجفنة ، وقوتهم اللبن  
والسر ، وسلاحهم السيف والرمح ، ومراكبهم الخيل والابل ، وتقلهم في  
الباري والقفار . ولكنهم لما تطوروا بتطور الحضارة ، واتخذوا البيوت المنجدة ،  
وتأثقوا في معالاة البيوت والصروح ، وعلاج الاقوات ، واستجدادة المطابخ ،  
وانتقاء الملابس الفاخرة ، زادت المعاني على الالفاظ ، وشرعوا ياخذون بعض  
الكلام ، عن الامم المجاورة لهم . فاخذوا الكثير الجمّ عن الفارسية ،  
واخذوا عن الحبشية ، والبرانية ، والبرمانية ، واللاتينية ، والسنسكريتية ،  
والهندية ، وذلك عن حاجة وانتقار الى تلك الالفاظ . ومنها اتصلاوا بأمة

او شيب ، اخذوا عنه ما خلت لتهم منه . ولما احتاجوا الى تعلم العلوم التي كانوا صفرا منها ، وهدوا الى نقل كتب علماء اليونان الى لغتهم ، ادخلوا فيها كلاماً كثيراً ما كانوا يعرفون له انظماً في اوضاعهم ؛ وهذا ليس بعيب ولا بمار . لانّ الشروب في اول امرها ، لما كانت تهبش في البداوة ، مستقلة بعضها عن بعض ، غير متعاونة ولا اجتماع لها ، كانت غير منقرة الى استمارة الكلام ، اذ كل شيب وكل امة ، كانت تتداول من الالفاظ ما يبدل على المعاني التي عندها ، على التدرج المطلوب . ولكن لما عدلت عن حالة البداوة الى حالة الحضارة ، وعن التوحش الى التآس ، واخذ التجار يضررون في البلاد للتجارة والارتفاق ، واختلطت الشعوب بالامم المجاورة لها ، وادركت من المعاني ما كانت تجهل في بلادها واقطارها ، اضطرت آما لتصاقب الديار وقرب الجوار ، واما للدخالة والتجارة ، واما لكسب العلم ؛ الى اخذ الفاظ عن جيرانهم وخطائهم ، وهذه ستة الله تعالى في خلقه ، ان المفضل يهطي والحجاج يأخذ .

فذن لست اللغة العربية غنيّة كما يدعي بعضهم ، ولا هي غزيرة المادة على وجه الاطلاق ، كما يظنّ فريق متعصب لها عن هوى وميل ؛ بل هي غنيّة من وجه فقط ، وغزيرة المادة من وجه ايضاً ؛ وعمي في حاجة الى الالوف من الالفاظ ، ويتصها الكلام الكثير في علم المواليد ، وفي علم الهيئة ، وفي علم تطب ، والتشريح ، والصيدلة ، والكيمياء ، والطبيمات ، والآلات ، و . . . فن اين تأتي بهذه الالوف المولفة من الالفاظ الدالة على المعاني ، اذا كان لا يصح اخذها عن لغة اخرى ؟ وكيف تقدر ان نعبّر عن تلك المعاني ، ما دمتا نتمر من الدخيل ؟ ولماذا هذا النور ، وقد استعمل العرب الصرحا . الدخيل في عهد جاهليتهم ؟ نعم ان كتابنا قد عربوا الفاظاً قليلة ، ولكن ما عربوه في جانب ما نحتاج اليه يجري مجرى القطرة من البحر الافيج ، او الرملة انواحدة من جبل الرمل . بل كم من مرّة اصطلحوا على كلمة ، ثم نبذوها ، ثم عادوا اليها والامثال على ذلك كثيرة ، . فلهذا در من قال :  
اننا اتفقنا على عدم الاتفاق وحسب .

## هل الترادف غنى للغة حقيقي

أما تبجحهم بأن العربية غنية ، ومن اغنى اللغات ، فهو ضرب من الدعاوة لا غير . فصدر هذا القول كثرة الترادف والمتوارد ، أي ان للاسد ٤٠ اسم وقال بعضهم ٥٠٠ ، وللدهاية مثل ذلك ، ولل سيف ٣٠٠ ، وللحجية ٢٠٠ وقال بعضهم ٣٥٠ ، وللناقة ٢٥٥ وقال بعضهم بل ٥٠ فقط ، وللها ١٧٠ ، وللخمر ١٠٠ ، وللبنر ٩٠ ، وللظفر ٧٠ ، وللظلام ٥٢ ، وللحجاب مثل ذلك ، وللشس ٣٠ ، وللشنة ٢٤ ، وللثور ٢١ ، وللبن ١٣ ، والعمل مثل ذلك فضلاً عن الصفات ، اذ عندهم للتصير نحو ١٦٠ صفة ، وللطويل ١٠٠ ؛ وعن ترادف الافعال كقولهم : ابرت فلاناً المقرب ، وزعته ، وشحطته ، وضربته ، وكوتته ، ولتفته ، ولدغته ، ولزته ، ولبتته ، ولعته ، ولستته ، واككتته ، وندغته ، ونهشته ، وركتته ؛ وادل الباب ، وابهته ، وترعته ، ودهته ، وردته ، ورتجه ، وزجله ، وازلحه ، وسفقه ، وسكره ، وصفقته ، وصمغته ، واصحقتة ، واعجمته ، وعلقته ، واقنله ، وكظفته ، ولصده ، ولطفه ، وامسكته واوجته ، وروصده ، وغير ذلك . وعن ترادف الجمل من مثل قولهم في طلوع الصبح : بث الصبح طلائمه ، وبدا حاجب الشمس ، وبدا يحيا القزالة ، وبرزت القزالة من حجابها ، وحسرت الشمس قناعها ، وسطع عمرد الصبح ، وشاب غراب الليل ، وطار غراب الظلام ؛ وفي زوال الشمس وغروبها : مال ميزان النهار ، وزلت قدم العصر ، وبقل وجه النهار ، وجنعت الشمس الى مغاربا ، وانحدر كوكب الشمس الى مغربه ، ودب الشفق الاحمر في حاشية الافق ؛ وفي اقبال الليل : بسط الليل على الكون جناحه ، وجثم الليل في بحشه ، وخفت راية الظلام ، ودجا جنح الليل ، وارضى الظلام -دوره ، وضرب الليل بارواقه ، وانغمض جفن الليل ، ونشر الليل اجنحته السوداء على الكون ، الى غير ذلك من الاوصاف الكثيرة ، والترادف الممل ، مما يزيد في صعوبتها ، وينثر الدارسين منها ، ومن الاقبال عليها .

على اننا لسنا نرى ، ولا يرى معنا ، كل من حكم عقله في كثرة الترادف

والأرصاف ، غنىً تحتيقاً وتدقيقاً ، ما دامت اللغة في حاجة بائسة الى الفاظ كثيرة لا تُمدد ولا تُحصى للدلالة على المعاني التي ليست فيها . فالغنى كل الغنى هو الذي لا يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه ؛ وإلاّ ما احتاج الى غيره ، فهو ليس غنياً على الاطلاق ، بل من وجه فقط . وكان هذا الغنى المزعوم ، واليسار الموهوم ، نتج من تمدد القبائل ، والمهاجر ، والبطون ، والانفخاض ، وتنوع لغاتهم ، وكثرة لهجاتهم ، واختلاف اللهجات . ولما جمروا كلامهم ودوتوه ، لم يتمدوا على القيمة الافصح لسائناً ، والاصدق بياناً ، بل جمروا كل ما سمعوه منهم ، على اختلاف قبائلهم ، وعمازهم ، وبطونهم ، وانفخاضهم ، ولغاتهم ، ولهجاتهم ، والسهم ، فأتى ذلك الترادف الملل ، والترارد الذي لا جدوى فيه سوى اتعاب الدماغ ، واسهار الاعمين الاحاطة به . وكذلك لا يأتي المتعلم على حفظ اسما . افسد مثلاً ، او الداهية ، او الجبل والناقصة ، او السيف والروح ، او الشعر ، حتى يتعلم نصف لغة اخرى ، ويقتوى على التعبير بها عن افكاره ؛ فضلاً عن لغة الاضداد ، التي توجب اصابة وقت لا يستهان به . فنحن نرى ان هذه المعاصر مطيب ، وهذا الغنى تحمة ، واصل هذا من جملة الاسباب التي تحذر بالكثيرين الى التشكيب عن العربية والنفور منها .

٧

### هل الاعراب كمال في اللغة

ليس الاعراب كمالاً في اللغة ، بل هو ضعف على ابانة صرفها ونحوها ، وتفرغ اصولها وقواعدها ، واختلاف آراء علماءها ونحواتها ، حتى إن اللحن مها كان فظيلاً ، يجر له المرء تحريجاً في كتب النحو . فلو كان آخر الكلام - اكنأ - او مبنياً غير متغير ، لمان على المتعلمين شيء من الصعوبات . أما يكفيننا ما نجده من الصعاب في تحريك اول الكلمة ، ووسطها ، وفي تحريك عين الماضي والمضارع ، حتى نرصد على ذلك حركات الاعراب ؟ فكفكم من تعلم لغات ، بينما غيره لم يتقن القراءة .

فاذن مهلاً ايها الكتاب الافاضل ، لا تمدحوا بامور لا تعود على العربية بالفخر . نعم هذه هي اللغة ، ولا يستطيع تغييرها في الوقت الحاضر ، ولكن

ينبغي لنا تسهيلها على الدارسين قدر الامكان ، هذا اذا اردنا تسهيلها على المتعلمين ، وتوجيهها الى الطالبين .

## ٨

## بعض وسائل تسهيل اللغة

أولاً : ترك استعمال الترادف ، والاقتصار على الاسم الشائع ، الذي يفهمه كل الناس ، ويمرغه سوادهم الاعظم ؛ مثلاً ان نستخدم لفظ الاسد للحيوان المعروف ، ونترك : الليث ، والمزبر ، والضيفم ، والشدقم ، وقس عليه انواع المترادفات .

ثانياً : وضع معجم لغوي ، باتفاق بعض العلماء الاعلام ، يحوي الكلام السهل اللين ، القريب المتناول ، وترك الكلام الوحشي ، الجاهلي غير المتأخرس ، والاقتصار في تعدية الافعال على حرف واحد ، واستقاط الباقي .

ثالثاً : تسهيل قواعد الصرف ، وترك القواعد التي لا خير فيها ، سوى اتعاب الطالب ، مثلاً تحريك عين الفعل ماضياً ومضارعاً ، والاعتماد على وزن او وزنين ، والاقتصار على مصدر واحد من الثلاثي ، وعلى جمع واحد فقط من جمع التكسير ، وعلى حركة واحدة مما يحرك بالتثنية ، وحذف بعض القواعد والفصول من النحو ، مثل باب الاشتغال ، والتنازع ، وتسهيل . وانع الحرف الى غير ذلك . فاي نفع يا ترى في هذه القواعد ، سوى التثقل على الطالب ؟ رابعاً : وضع كتاب صرف ونحو يحوي القواعد الاساسية ، يكون حافلاً بالتارين ، جامعاً بالتليل من اللفظ ، اخص القواعد ، بمباراة سهلة حرة خالصة من التعقيد ، على نسي اللغات المتعدنة . فادمننا لا يزيد ان نسي اصول اللغة ولا معجياتها ، فلن يحصل اللغة تقدم ابداً .

خامساً : الاقبال على اختراع الالفاظ الخالية منها اللغة ، سواء كان بالاستمارة ، او النحت ، او التمريب على نوع مقبول لا يتفر منه الذوق ، ولا يجبه السمع . فهذا ما اردنا التنبية اليه ، مؤملين ان يصادف اذننا صاغية ، وقلوباً مفكرة واعية ، وعلماء . فتالين لا قوالين .